﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ ٦٦﴾ [يس: 66]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبلَها:

تحذير الكافرين من أن يُطمسَ على أعينهم في الدّنيا قبل الختم على أفواهِهم في الآخرة

لمّا أخبر الله تعالى عَمّا يكون عليه حال الكافرين يوم القيامة من الختم على ألسنتهم، أتبعه بذكر ما يمكن أن يكون عليه حالُهم في الدّنيا؛ لأنَّ المقصود توبيخُهم وتقريعهم، فقال تعالى ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ﴾، أي: لا تتعجبوا بما نختم على أفواههم في القيامة، ولو شئنا الآن لطمسنا على أعينهم، فلو أرادوا أن يمشوا مستبقين في الطريق المألوف لم يستطيعوا، ولو نشاء لمسخناهم مسخًا يجمدهم مكانهم لفعلنا[1].

وأيضًا لمّا أتمَّ بضَرْبِ المَثَل وما بعده الدلالة على مضمون ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ﴾ [يس: 11] وما علَّلت به من إحياء الموتى، ودلَّ على ذلك بما تركه كالشمس ليس فيه لُبْسٌ، وذكر ما في فريقي المتبعين والممتنعين يوم البعث، وختم بالختم على الأفواه بعد البعث، أتبعه آية الختم بالطَّمسِ والمسخ قبل الموت تهديدًا، فقال تعالى ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ﴾[2].

وأيضًا لَمّا ذَكَرَ اللّهُ إلْجاءَهُمْ إلَى الاعْتِرافِ بِالشِّرْكِ بَعْدَ إنْكارِهِ يَوْمَ القيامَةِ؛ كانَ ذَلِكَ مُثيرًا لِأَنْ يَهْجِسَ في نُفوسِ المُؤْمِنينَ أَنْ يَتَمَنَّوْا لَوْ سَلَكَ اللّهُ بِهِمْ في الدُّنْيا مِثْلَ هَذا الإلْجاءِ فَأَلْجَأَهُمْ إلَى الإقْرارِ بِوَحْدانيَّتِهِ وإلَى تَصْديقِ رَسولِهِ واتِّباعِ دينِهِ، فَأَفادَ اللّهُ أَنَّهُ لَوْ تَعَلَّقَتْ

(1) الطيبي، فتوح الغيب: 13/ 85.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 157 - 158.

مشيئته بذَلِكَ في الدُّنْيا لَفَعَلَ؛ إيماءً إلَى أَنَّ مشيئتَه تَعالَى تُجْري تَعَلُّقاتِها عَلَى وفْقِ عِلْمِهِ تَعالَى وحِكْمَتِهِ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لَطَمَسْنَا﴾: (صمس) أصلُ الطَّمْسِ يَدُلُّ على مَحْوِ الشَّيْءِ ومَسْحِهِ، يُقالُ: طَمَسْتُ الخَطَّ، وطَمَسْتُ الأَثَرَ، والشَّيْءُ طامِسٌ أَيْضًا، وقد طَمَسَ هو بِنَفْسِهِ[2]، ويأتي بمعنى ذَهاب ضوء الشَّيء، يُقالُ: طَمَسَ النَّجمُ: ذَهَبَ ضوؤه، والقمرُ مثلُه[3]، ويُقال: عَين طمس، والمطموس هو الَّذي لا يرى شق عينه ولا يتبين جفنه، كما تطمس الرّيح الأثرَ[4]، والمُراد مِن الطَّمْسِ في الآيةِ: مَسْخُ شواهدِ العَينِ بحيث لايكون بين جفنَيْه شقٌّ، أو بإزالةِ سوادها وبياضها أوِ اختلاطهما وهو العمى[5].

2) ﴿فَٱسْتَبَقُواْ﴾: (سبق) أَصْلٌ واحِدٌ صَحيحٌ يَدُلُّ على التَّقْديم؛ يُقالُ: سَبَقَ يَسْبِقُ سَبْقًا[6]، والسَّبْقُ: القُدْمةُ في الجَرْي وفي كُلِّ شَيءٍ؛ تَقولُ: لَهُ في كُلِّ أَمْرٍ سُبْقةٌ وسابِقةٌ وسَبْقٌ، والجَمْعُ الأَسْباق والسَّوابِقُ[7]، والاسْتِباقُ: التَّسابُقُ، قال: ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ [يوسف: 17]، ويتجوَّز به في غيره من التَّقدُّمِ، ويُستعار السَّبْقُ لإحراز الفَضْلِ والتَّبريزِ، وعلى ذلك: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠﴾ [الواقعة: 10]، أي: المتقدِّمون إلى ثواب اللّه وجنَّته بالأعمال الصّالحة[8]، والسَّبَق، بِالتَّحْريكِ: الخَطَرُ (الرّهان) الَّذي يوضع بَيْنَ أَهْلِ السِّباق[9]، والمراد من الاستباقِ في الآية: افْتِعالٌ من السَّبْقِ، والافْتِعالُ دالٌّ على التَّكلُّفِ والاجتهادِ في الفِعْلِ، أَيْ: فبادَروا[10].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 51.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (طمس).
(3) الخليل، العين: (طمس).
(4) الواحدي، التفسير البسيط: 18/ 512.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 52.
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سبق).
(7) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: سبق).
(8) الراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (سبق).
(9) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن عباد، المحيط في اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (سبق).
(10) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 78.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الله تعالى قادرٌ على إذهاب الأبصار، كما هو قادرٌ على إذهاب البصائر

هذه الآية والتي بعدها مَسوقتانِ لبيان أنَّ الكافرين في هذه الدُّنيا تحت سلطان الله تعالى، إذ يخبر سبحانه بأنَّه: لو نشاء لعاقبناهم على كفرهم، فطَمَسْنا على أعينَهم بأَن نُزيل معالمها فتصبح ممسوحة، أَو نحبس ضوءَها فلا تبصر، فصيرناهم عميًا، فابتدروا بعد ذلك الطَّريق الَّذي اعتادوا سلوكه قبل الطَّمس ليسلكوه فلا يستطيعون ولا يهتدون له، فكيف يبصرون وقد طُمست أَبصارهم، وأُزيلت معالمها، أَو حبس ضَوؤُها فلا تنكشف لهم المرئيّاتُ، ولا يُبصِرون طريقًا، ولا يهتدون له، لو نشاءُ ذلك لفعلناه، لكنَّنا لم نفعل لنفسح لهم مجال التَّوبة[1].

وترشدُ الآيةُ الكريمة إلى إثبات مشيئة الله؛ إذ كلُّ شيء مُعلَّقٌ بمشيئة الله فإنه مقرون بالحكمة؛ لأن الله لا يشاء مشيئةً مجرَّدة، بل مشيئتُه تابعة لحكمَتِهِ، وإلى بيان تمام قدرة الله، فهذه الأعين مبصرةٌ لو شاء الله لطَمَسَها وصارت كأنْ لم تكن، وإلى كمال بلاغة القرآن؛ فقد أتى بهذا السياق الذي فيه توسع؛ لأنه أبلَغُ في التأثير، ولأنه يكون له نسق جيد تهفو إليه الأسماع وتَلْتَذُّ بسماعه[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

مناسبة الوصل في الآية:

تهديد المكذّبين بالبعث بأن يجعلهم الله في الدّنيا عميًا لايهتدون طريقًا

جاءت جملة ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ﴾ معطوفة بالواو على ما تقدَّم، وهو من باب عطف القصّة على القصَّة، فبعدما ذكر ما يحدث لأهل الشّرك يوم القيامة من أهوال يوم القيامة ومنها الخَتْمُ على أفواهِهم؛ أَعْقَبَه بذِكْرِ ما يمكن

(1) السمعاني، تفسير القرآن: 4/ 386، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 50، ومجمع البحوث، التفسير الوسيط: 8/ 382.

(2) ابن عثيمين، تفسير سورة يس، ص: 236 - 237.

أن يحدث لهم في الدّنيا من الطَّمْس على أعينهم، فلا يبصرون الصّراط الذي اعتادوا سلوكَه، فيكون الكلام تهديدًا لهم على كفرهم، وذهب ابن عاشور إلى أنَّ الجملة معطوفةٌ على قوله: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [يس: 48][1]، ومناسبةُ الوصل بين الجملتين اشتراكُهما في كونهما خبريّتين وفي الجهة الجامعة، وهي أنَّه لمّا أخبر عن تكذيبِهم بالبعثِ هدَّدهم بأن يجعلهم عميًا لايهتدون طريقًا.

فائدة الخبر في الآية:

تأخّر العقوبة في الدّنيا للكافرين جريٌ على سَنَنِ الرّحمة والحكمة في الإمهال

ليسَ مساقُ الجملة الشّرطية في قوله: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ الآيةَ، ومثلها في قوله: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ - الآيةَ؛ لمجرد بيانِ قدرتِه تعالَى على ما ذُكر من عقوبة الطَّمسِ والمسخ، بل لتهديد الكافرين وترهيبِهم وتقريعِهم[2]، لبيان أنَّهم بما هم عليه من الكفر ونقضِ العهد وعدم الاتِّعاظِ بما شاهدوا من آثارِ دمارِ أمثالهم أحقّاء بأنْ يُفعلَ بهم في الدُّنيا تلك العقوبة، كما فُعل بهم في الآخرةِ عقوبةُ الختمِ وأنَّ المانع من ذلك ليس إلّا عدمَ تعلُّقِ المشيئة الإلهيَّةِ به، كأنَّه قيل: لو نشاء عقوبتَهم بما ذُكر من الطَّمسِ والمسخ جريًا على موجب جناياتهم المستدعيةِ لها لفعلناها، ولكنّا لم نشأها جريًا على سَنَنِ الرَّحمةِ والحكمة الدّاعيتينِ إلى إمهالهم[3].

نكتةُ التّعبير بحرف الامتناع:

في كلِّ مشيئةٍ لله تعالى حكمةٌ

لَمّا كانَتْ (لَوْ) حرف امتناع لامتناع، بمعنى أنَّها تقتضي امتناع الجزاء لامتناع الشّرط، أفاد قوله: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ امتناعَ الطّمس على أعينهم لعدم تعلُّق مشيئته ﷻ بالطّمس، والمَعْنَى:

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 51.
(2) الواحدي، التفسير البسيط: 18/ 513.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 177.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ لَكِنّا لَمْ نَشَأْ ذَلِكَ فَتَرَكْناهُمْ عَلَى شَأْنِهِمْ؛ اسْتِدْراجًا وتَمْييزًا بَيْنَ الخَبيثِ والطَّيِّبِ، ففي التّعبير بحرف الامتناع (لَو) إيذانٌ بأنَّ للّه في امتناع مشيئتِه صُنعًا وحكمةً؛ إذ لو لم يكن له فيما يختارون من الأفعال والأعمال صنع، لم يكن لتوعُّدِهم على الطّمس على أعينهم معنىً، فدَلَّ أن له صنعًا في ذلك وحكمةً[1].

سبب إيثار التّعبير بصيغة المضارع:

تحذير الكافرين بأنَّ الطّمس على أعينهم متوقَّع في كلِّ حينٍ

أوثِرَ التّعبيرُ بصيغة المضارع الدالِّ على الحال والاستقبال - وإن كان المعنى على المضيِّ أي على معنى (لو شئنا) - لإفادة أن عدمَ الطَّمس على أعينهم لاستمرار عدمِ المشيئة فيما مضى وقتًا فوقتًا[2]، كما أنَّ في التّعبير بالمضارع تنبيهًا للمخاطبين بأنَّ الأمرَ متوقَّعٌ كل حين، فقد يكون هذا الطّمس واقعًا في المستقبل، لأنّا لا نعلم مشيئة اللّه إلى بعد وقوع الأمر، فيكون الكلامُ أبلَغَ في التهديد[3].

فائدة إسناد الفعل إلى نون العظمة:

التّعبير بنون العظمة لمعاني السّياق

أُسنِد الفعلان ﴿نَشَآءُ﴾ و﴿لَطَمَسْنَا﴾ إلى اللّه تعالى بصيغة نون العظمة لتعظيم المشيئة والطّمس، بمعنى أنَّ المشيئة هي مشيئة اللّه الواحد الأحد، ولو طمس على أعينهم فإنَّ طَمْسَه عظيم ولا يَقْدِر عليه أحدٌ سواه ﷻ، والإسناد إلى نون العظمة مناسب لمجيء الآية على معنى التّهديد والوعيد والتّحذير، لما فيها من التّعظيم والتّفخيم.

نكتةُ حذف مفعول المشيئة:

الحذفُ جارٍ على الأسلوب البليغ في الكلام

حذف مفعول الفعل ﴿نَشَآءُ﴾ في قوله ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ وتقدير الكلام: ولو نشاء أنْ نطمسَ على أعينهم لطمسنا، والحذف هنا جارٍ على الأسلوب البليغ في حذف فعل المشيئة إذا

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السّنة: 8/ 534.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 176، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 178.
(3) الخطيب الشربيني، السراج المنير: 3/ 361.

وقع شرطًا وكانَ مفعولُها مضمونَ الجزاء[1]، ففيه إيجاز في الكلام لظهور المراد.

دلالة التّعبير بـ﴿لَطَمَسْنَا﴾ بين الحقيقة والمجاز:

عبّر بالطّمس دون العَمَى؛ لأنَّ الطّمس هو مَسْخُ شَواهِدِ العَيْنِ بحيث لا يبدو لها جفنٌ ولا شَقٌّ، والمطموس هو الَّذي لا يُرى شَقُّ عينِه ولا يتبيَّن جَفْنُه، فيفيد القطعَ بأنَّه لا يبصر طريقًا ولا يهتدي سبيلًا، فيكون التّعبير بالطّمسِ عن عدم الإبصار على الحقيقة وهو أبلغ من التّعبير بالعمى، كما أنَّ الطّمس فيه تقبيحٌ للصّورة وتشويهٌ للوجه؛ لأنَّ طَمْسَ أعينِهم يكون بجعلِ جلود وجوههم متَّصلةً حتى كأنَّه لم تكن فيها عين قط[2] وليس كذلك العمى - فالكلام على التّهديد والتّحذير من وقوع الطّمس عليهم - كما أنَّ في التّعبير بالطّمسِ تعظيمًا لقدرة اللّه التي لا يحدُّها أمرٌ، ويَحتمِل أن يكون اللفظ على الاستعارة، حيث شبَّه عمى البصر بالطّمس بجامع التّغطية الحسّية، وحَذَفَ المشبَّه وذكر المشبَّه به على طريق الاستعارة التّصريحية التّبعيَّة؛ لتهويل ما قد يصيبهم من العمى لو شاء اللّه الانتقام منهم، حتَّى كأنَّ آلات البصر فيهم تُمسحُ وتسوَّى فلا يُرى لها أثرٌ[3].

مـطـمـوس العينين لا يبصر طريقًا ولا يهتدي سبيلًا

عِلَّةُ تعدية الفعل المتعدّي بحرف الجر:

الفعل طمس في قوله ﴿لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ يتعدّى إلى المفعول بنفسه، ونكتة تعديته بحرف الاستعلاء ﴿عَلَىٰٓ﴾ هي الدّلالة عَلَى تَمَكُّنِ الطَّمْسِ في أعينهم وإحاطته بها.

نكتة التّعبير بصيغة الجمع في الأعين:

عبّر بصيغة الجمع في قولِه ﴿أَعْيُنِهِمْ﴾ على معنى الاستغراق، بدلالة السّياق؛ لإفادة أنَّ الطمس إن وقع فيكون على عَيْنَيْ كلِّ فردٍ

الـطـمـس إن وقع فيكون على عَـيْـنَـيْ كـلِّ فـردٍ من المكذّبين

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 176.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 461.
(3) المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام: 3/ 341.

منهم، وليس على عينٍ واحدٍ بحيث يكون الطمس على مجموع أعين الكافرين المكذّبين، ولهذا أتبعه بقولِه: ﴿فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ﴾ نفيًا لأيِّ إبصار منهم، ولا يكون ذلك إلّا مع معنى الاستغراق للفظ﴿أَعۡيُنِهِمۡ﴾.

دلالة الضمير في ﴿أَعۡيُنِهِمۡ﴾:

الضّمير في ﴿أَعۡيُنِهِمۡ﴾ يُراد به كفارُ قريش[1] ومن يجري مجراهم في الكفر والتّكذيب.

معنى الفاء:

الطّمسَ نوع من العذاب، فإن وقع يكن فجأة على المكذّبين من غير تَرقُّبٍ منهم

تفيد الفاء في قوله ﴿فَٱسۡتَبَقُواْ﴾ التّرتيب والتّعقيب، بمعنى أنّ لو شاء الله تعالى وطمس على أعينهم، فإنَّ الطّمسَ يقع فجأة عليهم من غير ترقّب منهم، فإذا حاولوا وابتدروا الطّريق المعتادة لهم فإنَّهم لا يبصرونها ولا يبصرون غيرها، وقد يقال: إنَّ الفاء للتّفريع، ويكون سبب مجيء ﴿فَٱسۡتَبَقُواْ﴾ مفرَّعًا على الطّمس على أعينهم؛ هو أنَّه لما كان الذي يُهدَّدُ بقارعةٍ تصيبه يبادر بالهرب إذا فوجِئَ بمصيبة كبيرةٍ خوفًا من غيرِها لِما نالَه من الدّهش ومسَّه من عظيم الانزعاج والوَجَل، تفرَّع عن ذلك وتسبّب عنه قوله ﴿فَٱسۡتَبَقُواْ﴾[2].

دلالة لفظ ﴿فَٱسۡتَبَقُواْ﴾:

لمّا كان الفعل ﴿فَٱسۡتَبَقُواْ﴾ بصيغة افتعل، أفاد معنى التكلّف والاجتهاد في سبقِهم وسَيْرِهم وابتدارِهم الطّريقَ المستقيمة المعهودة عندهم.

فائدة (أل) في ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾:

الطّمس أشدُّ من العمى في عدم الإبصار والاهتداء إلى الطّريق

(أل) في قوله ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ للعهد، والمعنى الطّريق المستقيم الذي اعتادوا سلوكَه، وفي التّعبير باللفظ تنبيهان: **أحدهما**: هو أنَّه إذا كان حالُهم في الطّريق المعتادة لهم في سيرهم هو عدم

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 461.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 156.

إبصارِهم لها؛ فإنَّ حالَهم في الطّريق غير المعتادة وغير المعهودة لهم في سيرهم أولى بعدم الإبصار[1]، **والثاني**: بيانُ قوة الطّمس وشدّته وتأثيره في الإدراك، بمعنى أنَّ حالهم أبلغ في عدم الإبصار من العُمْيان؛ فإنَّ العميان يهتدون الطّريق الذي اعتادوه وأَلِفوه في سيرهم وتحصيل مقاصدِهم[2].

سبب إيثار تعدية الفعل بنفسِه:

بالطّمس يمتنع إبصار الطريق من أوّله إلى نهايتِه

تعدّى الفعل اللّازم إلى المفعول بنفسِه في قوله ﴿فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ﴾، والأصل في الفعل استبق أن يتعدَّى بحرف الجر (إلى)، وسبب تعدّيه بنفسِه: إمّا أن يكون بطريق نَزْعِ الخافض، أو بتضمين الفعل ﴿فَٱسْتَبَقُواْ﴾ معنى ابتدروا، والتّقدير فابتدروا الصّراط[3]؛ ليُفيدَ التّضمينُ معنيين، **أحدهما**: سيرهم إلى الصّراط، **والثاني**: مبادرتهم له، وعلى الوجهين في تأويل التّعدية فإنَّ الكلام يفيد أنَّ مفاجأتَهُم بالطّمس سببٌ لاستباقِهم الصّراط وإسراعِهم، وفي تعدية الفعل إلى الصّراط وجهان آخران غير أنَّهما ضعيفان[4].

ولعلَّ النّكتة في حذف (إلى) هو الدلالة على امتناع إبصارِهم الصراط من أوّله إلى نهايتِه، ليفيد عماهم من حين الطّمس، وبيانه: أنَّه لمّا كان حرف الجرِّ (إلى) لانتهاء الغاية، كان ذكره يفيد أنَّ الذين يطمس الله أعينهم قد يُتوهّم أنَّه مايزال لديهم بصيص من ضياء يبصرون به الطّريق وإن لم يستطيعوا أن يبصروا نهايته، فلمّا حُذِفَ حرف الجرِّ (إلى) أفاد انعدام الرّؤية عندهم من أوّل الطّمسِ تمامًا، والمعنى: لو نشاء لطمسنا على أعينهم فبادروا في أول الطمسِ إلى الطريق المألوفة التي تردّدوا عليها كثيرًا؛ لتحصيل

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 178.
(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 25.
(3) الزمخشري، الكشاف: 4/ 25، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 272.
(4) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 178.

مقاصِدِهم - كما كانوا يستبقون إليه - لم يقدروا على ذلك، وتعايا عليهم أن يبصروا ويعلموا جهة السلوك فضلًا عن غيره، فَهُمْ بين البقاء في أماكنهم وبين أن يسيروا عُمْيًا يتخبّطون في سيرهم ولا يهتدون سبيلًا[1].

معنى الفاء في قوله ﴿فَأَنَّىٰ﴾:

الفاء في قوله ﴿فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ تفيد الترتّبَ والسَّببيَّةَ، بمعنى: يترتَّبُ على الطَّمسِ على أعينهم ويتسبَّب عنه إنكارُ إبصارِهم للطّريق والتّعجيب من حالِهم.

بلاغة الاستفهام المجازي:

اسم الاستفهام (أَنَّى) يحتمل أن يكون بمعنى (كيف)[2]، كما يحتمل أن يكون بمعنى (من أين)[3] وهو على الوجهين استفهام مجازيٌّ، لقصد التّهويل والمبالغة في إنكار حال إبصارِهم ومكانه، فإن كان اسم الاستفهام (أَنَّى) بمعنى (كيف)؛ كان التقدير: كيف يبصرون وقد طمسنا على أعينهم؟! فلمّا أنكر حال إبصارِهم لَزِم منه إنكارُ الإبصار نفسِه، وإن كان بمعنى (من أين)؛ كان التّقدير: من أين يبصرون؟! ويحتمل أن يكون اللفظ على المعنيين جميعًا، فيكون الإنكار أبلغَ وأشدَّ، وأفاد الإنكار على الوجهين نفيَ إبصارِهم، بمعنى أنَّهم لايبصرون أيَّ شيءٍ، ويتولَّد من الاستفهام الإنكاري التّعجيبُ والتّهديد لمن يكفر باللّه ويكذب رسوله ﷺ.

التّعجيب مِن حال مَن يكفر باللّه تعالى ويكذِّب رسوله ﷺ

سرُّ التّعبير بقوله ﴿فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ دون (فأنَّى يَهتدونَ):

قد يُسألُ فيقال: الجملة الفعلية إذا أريد أن يرتَّب عليها مستبعد الوقوع، جيء في الكلام بمسبَّبها لا بنقيض سببها، فتقول: زيد أعمى فكيف يهتدي الطّريق، ولا تقول زيد أعمى فكيف يبصر، فيكون قوله:

الطّمس على الأعين سبب في عدم الإبصار، وهو سبب في عدم الاهتداء

(1) أبو حفص النّسفي، التيسير في التفسير: 12/ 375، والزمخشري، الكشاف: 4/ 25.
(2) النسفي، مدارك التنزيل: 3/ 110، والطيبي، فتوح الغيب: 13/ 80.
(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 49.

﴿فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ﴾ كالتّكرار؟ وجوابه هو أنَّ الطمس على الأعين سبب في عدم الإبصار، وعدم الإبصار سبب في عدم الاهتداء، فقوله تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ﴾، مسبَّبٌ عن الطّمس، وهو - أي انتفاء الإبصار - سبب لعدم الاهتداء الذي يترتّب هو عليه، لكن يبقى السؤال: لمَ عَدَلَ عن ذكر المسبَّب الثاني وهو الاهتداء، إلى ذكر المسبَّبِ الأول وهو انتفاء الإبصار؟ فيُجاب عنه: بأنَّه لو قيل: فأنَّى يهتدون؛ لتوُهِّمَ أنَّ لهم إبصارًا لكنَّه ضعيف لا يوصلهم إلى الاهتداء، فأفاد ذِكْرُ المسبَّب الأوّل أنَّهم لا يبصرون شيئا ألبتَّة لا قليلا ولا كثيرا؛ فيستلزم أنَّهم لا يهتدون ألبتَّة من باب أحرى[1]، فيكون سرُّ التّعبير بنفي الإبصار مقرّرًا لنكتة تعدية الفعل ﴿فَٱسۡتَبَقُواْ﴾ إلى ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ بنفسِه، أي في نفي أيِّ إبصار واهتداءٍ من أوّلِ الطّمس.

سبب حذف مفعول الإبصار:

حذف مفعول ﴿يُبۡصِرُونَ﴾ لإفادة العموم، فيكون معنى ﴿فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ﴾ إنكارَ أن يبصروا أيَّ شيءٍ، بمعنى لا يبصرون الصّراط ولا غيره، وقد يكون حذف المفعول على معنى تنزيل الفعل المتعدّي منزلة الفعل اللازم، فيكون معنى ﴿فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ﴾ لا يتأتى منهم إبصارٌ أصلًا.

نكتة التّعبير بصيغة المضارع:

عبّر بصيغة المضارع في قوله ﴿فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ﴾؛ لإفادة نفي استمرار إبصارِهم بسبب الطّمس وتجدّده حالًا فحالًا.

بلاغة التّمثيل في الآية:

الطّمس على القلوب ليس ببعيد عن الطّمس على الأعين

في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ﴾ الآيةَ، يُستشَفُّ منه تمثيل لما يمكن أن يفعله الله بهم من عمه القلوب، فكما أنَّه تعالى لو يشاء لطمس على أعينهم فلا يبصرون طريقًا ولا يهتدون

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/ 355.

سبيلًا، كذلك لو يشاء لطمس على أعين قلوبِهم وختم عليها فأعماها، فلايبصرون الهدى، ففيه تشبيه المعقول بالمحسوس للإيضاح والبيان، كما أنّه يشير إلى أنَّه ما يزال في أمرهم فسحة في التّوبة والسّير على طريق الهداية؛ لأنَّه يفيد أنَّ الطّمس على أعين القلوب لم يحدث بعد[1]، ويَحْتَمِل أن يكون التّمثيل على العكس لأنَّ الضّمائر في الآية تعود إلى الكافرين الضّالّين عن الهدى الذين لا ينتفعون بتذكير، والمعنى على التّمثيل: كما أَعْمَينا قلوبَهم وخَتَمْنا عليها، لو نشاء طَمَسنا على أعينهم فأعمينا أبصارهم الظاهرة[2]؛ تهديدًا لما قد يكونون عليه، والمقصود هو أنَّهم في قبضة اللّه القادر عليهم فليحذروا تنكيلَه بهم.

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السّنة: 8/ 534.

(2) الواحدي، التفسير البسيط: 18/ 513، والبغوي، معالم التنزيل: 4/ 21.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والأربعون،
سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 48 ، 810 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-07-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 48 : المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الصّافّات الآية 144.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-07-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1101030 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»